المهرجان الوطني للتراث والثقافة
بعد مرور ٢٦ عاما على الحدث!

شوريون يتصورون ملامح المستقبل لما ينبغي أن يكون عليه مهرجان الجنادرية

بعد بلوغه عامه السادس والعشرين، ما أهم المكتسبات والإضافات التي حققها المهرجان الوطني للتراث والثقافة؟ وما الذي لم يحققه المهرجان بعد، في ظل الحاجة الملحة لمثل هذه الفعالية الكبيرة أمام هجمات العولمة على العالم، وأيضا في ظل الصورة المغلوطة عن بلادنا التي يسعى كثير من المغرضين لإرسائها في الوجدان العالمي عن المملكة؟ فهل قام المهرجان بدوره كما ينبغي على هذا المحور، وهل أدى دوره، أم أنه بقي أسير الشكل الاحتفالي الكرنفالي وحسب.

الحاجة إلى تغيير المفاهيم

الأستاذ الدكتور عبدالله بن أحمد الفيفي عضو مجلس الشورى، الأستاذ بجامعة الملك سعود يرى أن «مَن يُراجع تاريخ المهرجان سيلحظ أنه بدأ بتوحيد المكان الذي تقام عليه نشاطاته؛ ليجسّد بهذا وحدويّة المهرجان، بفعالياته الوطنيّة، والتراثيّة، والثقافيّة. حتى نَجَمَ اتجاهٌ إلى فصل «التراث» عن «الثقافة»، وعندها تمّ عَزْلٌ جغرافيٌ بين مكوّنات الشعار العامّ للمهرجان: إذ أضحى التراث- بمفهومه الشعبويّ- يُقام في الجنادريّة، وأمست الثقافة- بمفهومها الرسميّ- تُقام داخل مدينة الرياض. ومن ثَمّ غاب التفاعل الجماهيريّ، وتشتّت الجهود، وعناصر النسيج الجميل، بين: الموروث الشعبيّ، والموروث العامّ، وبين التراث والثقافة، وبين العاميّ والفصيح. كما أن الندوات الثقافيّة المصاحبة كانت تتركّز في البدايات حول موضوعات حيويّة في اتصالها بوظيفة المهرجان لربط أجيال الوطن بتراثها وتعزيز هويتها الوطنيّة، وذلك من قبيل: «الموروث الشعبيّ في التراث العربي»؛ «علاقة الموروث بمحيله المبدع»؛ «علاقة التراث بالإبداع الفنيّ والفكريّ»؛ «الموروث في الفنون الاحتفاليّة»؛ «أثَرُ الموروث في السُّلوك وأنماط التفكير»، ونحو هذه من القضايا الجوهريّة في اهتمامات المهرجان. إلاّ أنها تعدّدت بعد ذلك الموضوعات، وتشعّبت الاهتمامات، لتُخرج المهرجان، أحيانًا، عن إطاره الأصيل، إلى قضايا مكانها الطبيعي ندوات جامعيّة خاصّة، أو مؤتمرات دوليّة مستقلة؛ إذ لا يُعقل أن يغدو المهرجان الوطني للتراث والثقافة مبدانًا لكلّ ما يخطر على البال طوال العام من القضايا الواسعة للأمّة العربيّة والإسلاميّة والعالم، بل كان المفترض بقاء التركيز على قضايا التراث والثقافة، وتفاعلهما الحيويّ مع الإنسان، ضمن سياج الهويّة الوطنيّة الواحدة، من غير إقليميّة ضيّقة ولا ذوبان في العالم والمطلق. وهناك قائمة من المحاور التي كان يُعوَّل على المهرجان في المضيّ في طرحها، كقضايا اللغة: بين الفصحى والعاميّة واللغات الوافدة والأجنبيّة، وقضايا التعليم، والتربية، والشباب، والإعلام، والمرأة، والتنمية، والفنون، والآداب، من شعر، ومسرح، وسينما، ودراما، وموسيقى، وفنون تشكيليّة، وفنون إسلاميّة، وعمارة، وتاريخ، وآثار، وأزياء، وحِرَف، وصناعات، ونحوها من الشؤون المغروسة في ثرى التراث والثقافة الأصيلة والمعاصرة. لذا، أرى أن المهرجان كان قد بدأ بداية صحيحة، إلاّ أنها تخطّفته الأمكنة والموضوعات المتفرّقة.»

وأضاف الدكتور الفيفي: «لقد أضحى المهرجانُ سوقًا ثقافيّة عربيّة عالميّة، وآن له أن يطمح، بعد الانتشار والصيت، إلى عهد من النضج والعمق. ولكن ينبغي- في رأيي- أن لا يظلّ مهرجان الجنادريّة يدور في حلقة ما يُسمى (التراث الشعبي)، أو (الثقافة الشفويّة)، مختزلاً مفهومَي «التراث» و«الثقافة» في ذلك. هذا ما قلتُه منذ سنوات، وما زالت تتأكّد ضرورتُه في كلّ موسم. ولقد آن كذلك أن يتحدّد مفهومنا للتراث: فهل «التراث» شاعر عامّي، وربابة، وبضعة جمال، وطائفةٌ من ممارسي الحِرَف؟ أم أنه يضرب بجذوره في تراث الجزيرة العربيّة، ولغتها، إلى الأعمق، والأشمل، الذي لا يمثّل تراث الجزيرة وحدها، بل تراث الأمّة العربيّة والإسلاميّة جمعاء، بما أن تراث المملكة هو نبع التراث العربي والإسلامي؟ ومن هنا يُمكن وَصْلُ الهويّة الوطنيّة بجذورها، ودارجتها بلغتها الأمّ، بشمول نظرة إلى الموروث، لا تقصُرُه على حقَب، تُعدّ- في حساب الحضارة- حقَبَ ظلام؛ فهي من أدنى عصور التاريخ ضُعْفًا، وانحدارًا، وتخلّفًا. إذن، لو تجسّدت تلك الرؤية الأبعد لوظيفة مهرجان الجنادريّة، لأصبحنا أمام (مهرجان حضاريّ)، لا مجرّد (مهرجان شعبويّ)، لعلّه قد استنفد ما يستحقّ. لقد آنت ساعةُ المراجعة والتجديد؛ بحيث يسعَى المهرجان إلى مدّ الوحدة الوطنيّة- بعد امتدادها في المكان، على يدَي الملك عبدالعزيز، غفر الله له- في الزمان،

أ.د. الفيفي: أحلم أن يصبح المهرجان الوطني للتراث والثقافة مهرجانًا عالميًا، يتناسب ومكانة المملكة التاريخيّة والإنسانيّة

مناسبات

على أيدي أبنائه وأحفاده. ومن خلال هذا الزخم الحضاري يمكن استقطاب المثقّف العربي، وتقديم صورة المملكة الحقيقيّة لا المنمّطة. إذ يجب عدم التعويل على دعوة عشرات المثقّفين من العالم لحضور المهرجان فحسب، ولكن الأهم أن يكسر المهرجان نفسه نمطيته، وأن لا يتحوّل إلى منبر إعلاميّ موجّه، أو شبكة للعلاقات العامّة، بل أن يقدّم المهرجانُ تراث المملكة وثقافتها كما هما، بوصف المملكة قلبًا للعروبة والإسلام، وأحد أهم منابع الحضارة الإنسانيّة.»

وطرح الدكتور الفيفي أكثر من مقترح لتطوير فعالية الجنادرية وتعظيم النفع بها وعدد من هذه المقترحات:» فتح المشاركة أكثر للمؤسسات الأكاديمية ومنظمات المجتمع المدني الجديدة، والهيئات الثقافية والأندية الأدبية وغيرها من المؤسسات. فهو مهرجان: وطنيّ، وللتراث، والثقافة. ولكن شريطة أن تكون لتلك الجهات المشاركة علاقةٌ بالتراث والثقافة، وفق مفهومهما العلميّ المنضبط، لا مفهومهما العامّ، الذي يمكن أن يَستدرج فيه كلّ شيء. وذلك لكيلا يقع المهرجان في الشتات الذي يبدو أنه انزلق إليه، في السنوات الأخيرة. على أن هناك جهة أرى أنها مقصّرة جدًّا في حضورها الجدّيّ، مع أنها أولى الجهات مسؤوليّة عن الوجود الفاعل والمتمّم لأعمال المهرجان، وأعني جهاز الثقافة والإعلام، بعموم مؤسّساته. فبالرغم من ذلك المدّ الأفقيّ والرأسيّ في اهتمامات المهرجان، فإننا لا نرى الإعلام يواكبه بتغطية كافية، أو شبه كافية! لستُ أتحدث هنا عن سباق الهجُن، أو حفل الافتتاح، وما يصاحبهما من بثّ مباشر عبر الأقمار الصناعيّة، وإنما أعني التغطية الشاملة لأيّام المهرجان وفعاليّاته، وبشكل احترافي، وحيّ، وشامل. وهو واجب ثقافيّ إعلاميّ معًا، لا بُدّ أن يطمح إلى أكثر من رسالة يوميّة مقتضبة، تقدّم في هزيع متأخّر من الليل. ويمكن أن تُخصّص لذلك إحدى القنوات التلفازيّة، ولتكن القناة الثقافيّة. ها هو الميدان أمام الثقافة والإعلام السعودي، لترسيخ الإنتاج المحليّ، والثقافة الوطنيّة! فلماذا لا تُتّخذ من هذا المهرجان، وكذا من مهرجان عكاظ، وغيرهما، ثروة في المادّة الثقافيّة والإعلاميّة المتنوّعة، تُجعل لها أوقات حيّة للعرض على مدار العام. كما أنه كان من المؤمّل- ونحن في عصر المعلومة الموثّقة، والصورة المصاحبة، والمتابعة الحيّة، والميسّرة للجميع- توثيق هذه المواسم الثقافيّة الرائعة في مطبوعات، مردودها الثقافيّ والإعلامي لا يُقدّر بثمن، بل إن مردودها الماديّ كذلك- إن أحسن القيام عليها- يستحقّ ما يُبذل من أجله. وكذا فإن من الضروريّ جدًّا تدشين موقع للمهرجان على شبكة الإنترنت، «يؤرشف» موادّه، ويسجّل مسيرته، ويصل إلى المتلقّي في أي مكان في العالم، ويمثّل مادة مرجعيّة للباحث والدارس والقارئ والمشاهد، بصفة مستمرة، لا موسميّة. بحيث يظلّ موقع مهرجان الجنادرية الإنترنتي كتابًا مفتوحًا طوال العام، وقناة متدفقة، تصل إلى الناس مباشرة حيثما كانوا. وهذا لا يكلّف الكثير. بل سيكون مصدر معرفة وإفادة ومراجعة من قبل القائمين على المهرجان أنفسهم لتطويره والنهوض بمستواه أكثر فأكثر.»

وعن أحلامه للمهرجان قال د. الفيفي: «أحلم أن يصبح المهرجان الوطني للتراث والثقافة مهرجانًا عالميًّا، يتناسب ومكانة المملكة التاريخيّة والإنسانيّة. على أن تلك الآمال والأحلام والتطلّعات- التي عبرنا عنها في المقترحات السابقة- لا تُقلّل، بحال، من الجهود المنظورة وغير المنظورة للمسؤولين عن المهرجان، الذي جاء أصلاً ثمرة من ثمار اهتمامات الملك عبد الله بن عبد العزيز- حفظه الله- بالتراث والثقافة، منذ كان وليًّا للعهد.. لكن تلك المقترحات شواهد على أهميّة المهرجان، وما يُمليه من مسؤوليّات، طمّاحة إلى درجات مُثلى من العطاء والتكامل.»

أ.د. آل ناجي: أمل أن تكون بعض فعاليات المهرجان عالمية وأن يكون التركيز على نوعية الفعالية أكثر من عددها

آمال للاكتمال

أما الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الله آل ناجي عضو مجلس الشورى، نائب رئيس لجن الشئون التعليمية بالمجلس فيرى أنه "يزداد الدور الذي يقوم به مهرجان الجنادرية في ربط أجيال الوطن بتراثها وتعزيز هويتها الوطنية عاما تلو الآخر . فمهرجان الجنادرية يعتبر بحق مناسبة وطنية يمتزج فيها أمجاد التاريخ بنتائج الحاضر الواعد . والمهرجان ومن خلال نشاطاته المتنوعة يعرض للأجيال الشابة التي نشأت في العقود الثلاثة الماضية نماذج من تراث مجتمعها السعودي ، كما أنه يذكر الأجيال التي عاصرت بعض هذا التراث بتلك الأيام الفريدة."

مؤكدا: "يضيف المهرجان كل عام من خلال ما يبرزه من أوجه التراث الشعبي المتمثلة في الصناعات اليدوية والحرف التقليدية الإبداع الإنساني لأبناء هذا الوطن ويوضح كيف استطاعت الأجيال السابقة التكيف مع بيئتها والتأسيس للحضارة التي يعيشها مجتمعنا اليوم . كما أن ما يقيمه المهرجان من الندوات الثقافية والفكرية وأمسيات شعرية وعروض مسرحية لها إضافات قيمه في الوعي الوطني بكل أبعاده الاجتماعية والفكرية والسياسية، مما يعزز الثقة في المضي للمستقبل بخطى ثابتة ."

ويشي آل ناجي إلى أن "مجمل الفعاليات التي يقيمها المهرجان تحظى باهتمام على الصعيد الخارجي وخاصة مع انتشار القنوات الفضائية ، فالمملكة العربية السعودية لها ثقل دولي بما حباها الله من الأماكن المقدسة ومن ثروات طبيعيه، لذا نجد أن العديد من المجتمعات في مختلف دول العالم شرقها وغربها تتابع باهتمام الفعاليات الكبرى التي تحدث في المملكة ومن أبرزها مهرجان الجنادرية . كما أن ما أضافه المهرجان في نشاطه باستضافته إحدى دول العالم كضيف شرف رسخ الاهتمام المتزايد من دول العالم لمتابعة فعالياته ، حيث كانت فرنسا هي ضيف الشرف في المهرجان الماضي وسوف تكون اليابان هي ضيف الشرف في مهرجان هذا العام، وعند زيارتنا لليابان في لجنة الصداقة السعودية اليابانية من مجلس الشورى وجدنا اهتماما كبير من المسئولين الذين تم مقابلتهم بمهرجان الجنادرية كما ان لديهم شوق واهتمام للمشاركة في المهرجان."

وحول مدى قدرة المهرجان على تغيير الصورة النمطية عن المملكة أوضح آل ناجي أن "الصورة عن المملكة العربية السعودية لم تعد بتلك النمطية التي كانت في الماضي وذلك بفضل الله أولاً ثم بفضل الدور الذي قام به خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وذلك من خلال شخصيته القيادية الفريدة التي نالت إعجاب العالم ومن خلال مبادراته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المتميزة مثل مبادرة حوار الثقافات."

وأوضح آل ناجي أن "مهرجان الجنادرية يمكن أن يساهم بفعالية في نقل الصورة الحقيقية عن المملكة من خلال دعوة المزيد من المثقفين والأكاديميين من مختلف دول العالم وإعداد البرامج الجيدة لزيارتهم ، إضافة إلى تنظيم ندوات متنوعة في مناطق المملكة المختلفة يساهم فيها ضيوف المهرجان ، بحيث لا تقتصر فعاليات الندوات والمحاضرات على مدينة الرياض فقط ، مما يزيد من دعم المهرجان ليكون أوسع انتشاراً وأكثر تأثيراً. كما إن تصنيف فعاليات المهرجان وتحفيز القطاع الخاص بإدارة بعض هذه الفعاليات وتسويقها سوف يؤدي إلى تطوير واستدامة هذه الفعاليات."

ويأمل آل ناجي "أن تكون بعض فعاليات المهرجان الوطني عالمية تجذب المهتمين من مختلف دول العالم، وان يكون التركيز اكبر على نوعية الفعالية أكثر من عددها، وأن تعرض بأساليب مشوقه، وأن يكون للهيئة العليا للسياحة والآثار دور أكبر فيما يتعلق بتطوير الحرف اليدوية والعروض الشعبية في المهرجان."

مناسبات مناسبات مناسبات مناسبات مناسبات مناسبات مناسبات مناسبات